المدارس اللّسانية

المستوى: السنة الثانية – نقد

الأستاذ: عبد الرحمان ديكي

المدرسة البنيوية (مدرسة جنيف) Structuralisme) مع دي سوسير:

ومن أهم مبادئ هذه المدرسة:

أولاً: العلاقة بين اللّغة والكلام.

ثانيا: تحليل الرموز اللّغوية .

ثالثا: دراسة التركيب العام للنظام ا غوي.

رابعا: التفرقة بين مناهج الدراسة الوصفية ومناهجها التاريخية .

قامت هذه المدرسة على نظرية في دراسة اللّغة وعلى منهج محدّد، يتسم بسمات مخصوصة أهمها، هو النظر لى اللّغة على أنّها نظام من العلامات اللّغوية، يرتبط بعضها ببعض بشبكة من العلاقات، أو هي مجموعة عناصر متشابكة، لا ينعزل فيها عنصر عن عنصر خر داخل هذا النظام، ذا خرج عنصر من الشبكة، ولم تكن له علاقة بغيره، فقد قيمته. ونتيجة لنظرة سوسير هذه لى النظام ا غوي، وما يكونه من العناصر، فقد وقف بعمله ا غوي عند حدود الوصف والتحليل والتفسير بطريقة علمية موضوعية.

إنّ اللسانيات البنيوية *Structuralisme* سعت في تأسيسها للسانيات على:

- دراسة المدونة *Corpus* (الكلام المستعمل).

- إنجاز نظرية حول النص باعتباره منتهيا ومغلقا، معنى أنه لا يهمها علاقة بنية ا غة بما هو خارج المجال ا غوي *Extralinguistique* ، بل ما يهمه هي العلاقات الصورية أو الشكل، التي تاز في ربطها بين العناصر بصفة الانغلاق والنهائية، من حيث أنها تخضع مبدئيا لقوانين تواضعية قارة وجاهزة.

يقول دي سوسير : " اللسان نظام *Systeme* " **ترتبط فيه جميع أجزائه بعضها ببعض** "، وهذا يعني **أن اللغة** في نظره كل قد تركب من **مجموعة من العناصر تربطها علاقة** ، تجعل **هذه العناصر لا معنى لها في ذاتها، إنما معناها يتحدد في ارتباطها ببعضها** ، وكل تغيير يصيب عنصرا منها يؤثر على العناصر الأخرى، بل وعلى النظام كله.

وشبه "سوسير" النظام ا غوي بلعبة الشطرنج ، فإذا قمنا باستبدال القطع الخشبية بقطع من العاج فهذا التغيير لا يمس النظام، أما إذا أنقصنا أو زدنا عدد القطع فذلك التغيير يؤثر في قواعد اللعبة، و"سوسير" لم يستعمل مصطلح "بنية" في كتابه، بل استعمل كلمة "نسق" إلا أنه يعتبر أول من دعا إلى دراسة اللغة وفق المنهج البنيوي.

ويرى أن اللسانيات فرع من السيميولوجيا " *La Sémiolcgie* "(علم العلامات العام)، الذي يدرس الأنظمة التبليغية الأخرى المستعملة في المجتمع (مثل لغة إشارة المرور: بألوانها الثلاثة الأخضر والأحمر والبرتقالي ، وحدد موضوع ا سانيات في خاتمة محاضراته، فقال:" **إنّ موضوع اللسانيات الصحيح والوحيد هو ا غة في ذاتها ومن أجل ذاتة** "، فهذه الدراسة علمية بعيدة عن

الاعتبارات المعيارية " وصف الأحداث ا غوية وتحليلها كما تتح ق في الواقع وليس كما يريدها هو أن تكون)، وموضوع اللسانيات عند "سوسير" هو ا سان بوصفه ظاهرة اجتماعية، تفرض نفسها على الأفراد، وهي ظاهرة عامة مشتركة بين البشر، ويمكن دراستها دراسة علمية عندما تدرس مستقلة عن تحققاتها الفردية، وهذا ما فعله "سوسير" حين ميز بين اللغة والكلام.

اللّغة والكلام واللسان عند دي سوسير : ف ى أن هناك كياناً عاماً يضم النشاط اللّغوي الإنساني ، في صورة ثقافة منطوقة ، أو مكتوبة ، معاصرة أو متوارث ، وبعبارة أخرى كل ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللّغوي من رمز م وتي أو كتابي أو إشارة أو اصطلا ، فخص هذا الاصطلاح بكلمة اللّغة ثم أنّه ينظر إلى ا غة المع نة بطريقتين :

فإ ا أن تكون في صورة منظمة ذات قواعد وقوانين ، وذات وجود اجتماعي فيطلق عليها اللّسان ، وهي اللّغة المعينة التي تتّخذ موضوعاً للدراسة مثل العربية أو الإنكليزية .

وإما أن تكون في صورة ممارسة فردية منطوقة على أي مستوى أو بعبارة أخرى النشاط العضلي الصوتي الذي يقوم به الفرد الواحد ويطلق عليها بالكلا .

أما **اللسان فهو النموذج الاجتماعي الذي استقرت عليه** اللّغة أو هو السلوك السوي لأغ بية عظمى من أبناء الأمة الواحدة، وذلك لانّ الفرد حينما يتكلم ب ه ولا شك ينحرف قليلاً عن لسانه القومي. ونجد أن الفرد يحاول دائماً أن يكون لسانه قريباً من الفصحى لأ ا النموذج المثالي الذي يسعى إليه الفرد، ونجد أنّ لسان أ ة من الأمم يشتمل على عدة لغات ، واللّغة في حدّ ذاتها تتألف من كلام كل فرد، فاللسان العربي مثلاً يتضمن عدة لغات وإن كانت هذه لا تختلف إلا من حيث الجزئيات . وبناء على هذا نقول ، إنّ الكلام واللّغة كل منهما سابق للّسان من حيث النشأة ، لأنّ اللّسان لا يستقر إلاّ بعد مضي أجيال، فاللّسان يتأثّر بالكلام واللّغة ويؤ ر فيهما، يتأثّر بهما لأنّه نتاج كل ما يصدر عن الأفراد من أقوال، لأنّه يتلقّى رصيده من الأفراد والجماعات ويؤثّر فيهما لأنّ المتكلم يحاول دائماً أن يتقن أساليب التعبير ويقلّد البلغاء إلى أن تصبح لغته ملكة راسخة وأداة مطواعاً لفكره.

دي سوسير – يعتبر أنّ الكلام لا يمكن دراسته دراسة علمية لأ ه فردي، والفردي يقوم على عنصر الاختيار، وعنصر الاختيار لا يمكن التنبؤ به، وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته دراسة علمية، واللّغة كذلك لا تدرس بشكل علمي لأنها لا تمثل واقعة اجتماعية خالصة حيث إنها تخص الفرد وتخص الجماعة، لم يبق إذن إلا ا سان فهو وحده ال ي يمكن دراسته دراسة علمية لأ ه موضوع مح د صف ب تجانس ولذا يمكن ملاحظته وتصنيفه ، وله بذلك مكان بارز بين الحقائق الإنسانية"

ويمكن إيجاز أهم أفكار دي سوسير البنيوية في ثلاثة أفكار مترابطة متكاملة، لا انفصام لها، وليس من السهل أن يعزل واحد منها عن الآخر في نظر دي سو ير على الأقل ، وهذه الأفكار الثلاثة هي :

(1 حلل دو سوسير الرمز لى مكونين : الدال (Signifier) والمدلول :Signified

والدال هو الجانب الصوتي المادي من الرمز حيث يمثل الصوت في حالة اللغة المحكية أو الحرف المكتوب في حالة اللغة المكتوبة.

أما المدلول فهو الجانب الذهني فهو لا يشير إلى الشيء بل يشير الي الصورة الذهنية أو الفكرة عن الشيء، ويؤكد دي سوسير على الوحدة بين مكوني الرمز حيث يشبههما ب ورقة ذات الوجهين لا يمكنك تمزيق أحدهما بدون أن تمزق الوجه الآخر. دي سوسير يرى أن العلاقة بين الدال والمدلول عرفية ومواضعة؛ أي: الرابط الجامع بين الدال والمدلول اعتباطي، فالعلامة الألسنية اعتباطية ،

(2 ميز دو سوسير بين اللغ (language) والكلا :(Parole) فاللغة: هي النظام النظري الذي يضم قواعد اللغة، أو هى منظومة من العلامات تعبر عن فكرة ما. أما الكلام: فهو بمثابة التحقق العيني لتلك القواعد، هو عمل فردي للإرادة والعقل، وهو يمثل الممارسة الفردية القائمة على الاختيار والتحقيق. وهو فعل فردي نابع من الإرادة والذكاء، كذلك هو عبارة عن تأليفات من خلالها يستخدم المتكلم قواعد اللسان بغرض التعبير عن فكره الشخصي وتكون باختيار ألفاظ ضرورية ومحددة لإنشاء ج ل .

واللسان عند دي سوسير: نتاج للملكة اللغوية ومجموعة من المواصفات يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة. واللسان هو كنظام نحوي يوجد في كل دماغ على نحو أدق في أدمغة مجموعة من الأفرا .

وقد كان لذلك التمييز – بين اللغة والكلا – أثر كبير في الأعمال البنيوية، حيث نجد لديهم تلك التفرقة بين البنية والحدث؛ أي: بين الأحداث والقواعد التي تتحكم في هذه الأحداث، وأيهما أسبق وجو ا البنية أم الحدث؟ ودراسة النظام الداخلي أصبحت تعرف بأنها اللسانيات البنيوي أ " المدرسة البنيوي ."

(3) ميز دي سوسير بين محورين لدراسة للغة؛ المحور التزامني (Synchronic) والتتابعي " :(Diachronic) السنكروني " أوا صفي في مقابل " الديكروني أ) التاريخ ة

أما المحور التزامني لدراسة اللغة: فهو يدرس اللغة على اعتبار أنها نظام يؤدي وظيفته في لحظة ما دون وجود اعتبارات للزمن. وأما ا ور التتابعي: فهو يدرس اللغة باعتبارها نظاماً يتطور عبر الزمن ويرصد التغيرات التي تطرأ على اللغة تاريخ .

ويرفض ي سوسير المنظور التتابعي؛ لأنه يرى أن معرفة تاريخ الكلمة لن يفيد في تحديد معناها الحالي، ويشبه الأمر بأن يشاهد الشخص مشهداً ثابتا بينما هو يتحرك، لأنه من الأفضل له أن يثبت في مكانه حتى يتمكن من مشاهدة المشهد بشكل واضح، فحركته لن تفيد في فهم طبيعة لمشهد نفسه. فالمنهج البنيوي يلتزم بمفهوم التزامنية، وهي: دراسة لغة محددة في لحظة معينة دون النظر في المراحل التاريخية، فيدرس اللغة كما هي ومحاكمتها بقوانينه – لا بقوانين غيره – دون تقعيد لغرض الدراسة نفسها، بشكل موضوعي بغية الكشف عن حقيقتها ، وكان ي سو ي يرى أن التزامن والتعاقب في اللغة يجب أن يدرسا في علمين منفصلين؛ لأن التزامن يرتبط بالنظام ولكنه عن علاقات الزمن، في حين أن التعاقب يرتبط لزمن ولكنه مفصول عن علاقات النظا .

فهي دراسة سنّ ونية متزامنة بغض النظر عن التطور الذي تعد هذه الحالة امتداداً له؛ وبناء على هذا المفهوم طرح دي س ي التمييز بين التطوري التي هي دراسة التغيرات عبر الزمن، التزامن الذي هو دراسة حالات محدودة من اللغة في فترة محدودة من التطور. فانقسم علم اللغة إلى فرعين: علم لغة تعاقبي أو تطوري وعلم لغة تزامني أو سكوني، وتنضم الطريقتان التزامنية والتعاقبية موضحة إحداهما الأخرى ، وينطبق هذا التقسيم السوس ي لى اختصاص ابن جني بالدراسة التطورية للغة كما سنرى .

ولكن اللسانيات الحديثة بدأت ترى أن المقابلة بين التزامن والتعاقب وهمية جداً، وجيدة فقط في مراحل البحث التمهيدية، وأن المقطع السكوني وهم؛ لأنه عبارة عن طريقة علمية مساعدة، وليس شكلاً خاصاً من أشكال الوجو .

' والقيمة اللغوية أي (المعنى) عند سوسير، إنما تحدده وتعينه مجموعة العلاقات بين الكلم، ولا يمكن فهمه أو الوصول إليه إلا في ضوء هذه ال لاقات، فالعلاقة متبادلة بين الدال والمدلول، تجعل كل واحد يستدعي الآخ .